الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نتوب إليه و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،و أشهد أن محمدًا عبده و رسوله صلى الله و سلم عليه و على آله و صحبه أجمعين .

القارئ: الحمد لله رب العالمين ،و الصلاة والسلام على أشرف الأنبياء و المرسلين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة و أتم التسليم ،قال العلامة عبد الرحمن السعدي –رحمه الله تعالى و غفر له و للشارح و السامعين – في كتاب الأصول العقائد الدينية ،قال : و لا يتم توحيد الربوبية حتى يعتقد العبد أن أفعال العباد مخلوقة لله ،وأن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله ،و أن لهم أفعالا و إرادة تقع بها أفعالهم وهي متعلق الأمر و النهي ،و أنه لا يتنافى الأمر إثبات مشيئة الله العامة الشاملة للذوات و الأفعال و الصفات ،و إثبات قدرة العبد على أفعاله و أقواله .

الشيخ :قال الشيخ –رحمه الله تعالى – : و لا يتم توحيد الربوبية حتى يعتقد العبد أن أفعال العباد مخلوقة لله، سبق أن ذكر المصنف–رحمه الله تعالى – دخول الإيمان بالقدر في توحيد الربوبية ،حيث قال فيما سبق ومر معنا : فدخل في توحيد الربوبية إثبات القضاء و القدر ، فالقضاء والقدر الإيمان به داخل في الإيمان بربوبية الله ،و أن ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن و أن الله على كل شيء قدير ، فالإيمان بالقدر هو من الإيمان بربوبية الله ،و أنه وحده تبارك و تعالى المتصرف في هذا الكون ،وأنه لا يقع في هذا الكون من حركة أو سكون أو قيام أو قعود أو حياة أو موت أو صحة أو سقم أو غير ذلك إلا بإذنه ،فالخلق خلقه و مشيئته تبارك و تعالى نافذة ،و ما شاء الله كان و ما لم يشأ جل و علا لم يكن ،و لهذا من لم يؤمن بأن أفعال العباد مخلوقة لله عز و جل ينخرم إيمانه بالقضاء والقدر ،و إذا انخرم إيمانه بالقضاء و القدر انخرم إيمانه بتوحيد الربوبية ،و لهذا عبر بعض العلماء بعبارة جميلة نقلها الشيخ حافظ الحكمي–رحمه الله – في كتابه العظيم معارج القبول قال بعض العلماء أن عدم الإيمان بأن أفعال العباد مخلوقة لله تبارك و تعالى قال هذا شرك في الربوبية مختصر ؛لأنه جعل مع الله سبحانه و تعالى شريكًا في الخلق في هذا الأمر المعين ألا وهو أفعال العباد ، فمن إيماننا بالقضاء و القدر أن نؤمن أن أفعال العباد

مخلوقة لله تبارك و تعالى ، كما أن ذوات العباد مخلوقة لله ،و كما أن أيضا صفات العباد مخلوقة لله تبارك و تعالى فكذلك أفعالهم ، الله جل وعلا خالق كل شيء ،خالق الذوات و الصفات و الأفعال كل ذلك خلقه جل و علا ،الله جل و علا خالق كل شيء ، لا يخرج شيء عن كونه مخلوقًا لله عز و جل ، الله خالق كل شيء ،فمن ادعى في أفعال العباد أنها ليست مخلوقة لله و أنها مخلوقة للعباد أنفسهم هم الخالقون لهم فإنه يكون بذلك أشرك في الربوبية ،ولهذا قال العلماء –رحمهم الله – عن القدرية نفاة القدر قالوا عنهم مجوس هذه الأمة ،ومجوسيتهم من جهة كونهم أثبتوا خالق مع الله وهو الإنسان ،قالوا : الإنسان هو الخالق لفعل نفسه ،فهذه مسألة كبيرة جدًا ومهمة في باب الإيمان بالقدر وفي باب الإيمان بربوبية الله سبحانه و تعالى ،لأن توحيد الربوبية الذي تحدث عنه الشيخ –رحمه الله – في أول هذه الرسالة أن نؤمن بأن الله عز و جل هو الخالق وحده ،الرازق وحده ،المتفرد بالتدبير و تصريف هذا الكون لا شريك له في ذلك ، فهي مسألة كبيرة جدًا داخلة في الإيمان بتوحيد الربوبية وهي من مسائل الإيمان بالقضاء و القدر .

قال –رحمه الله – :و لا يتم توحيد الربوبية حتى يعتقد العبد أن أفعال العباد مخلوقة لله ،أفعال العباد لا يعني بها الشيخ –رحمه الله الطاعات فقط مثل الصلاة و الصيام و الحج و البر و الصلة و غير ذلك بل أفعال العباد كلها من طاعات و معاصي من إيمان و كفر ،من بر و فجور ،أفعال العباد كلها مخلوقة لله كما أن ذوات العباد مخلوقة لله ،فالله عز و جل هو الخالق للإنسان الموجد له من العدم {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً *إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً } فالإنسان مخلوق لله أوجده الله سبحانه و تعالى من العدم ،و صفات الإنسان أيضا مخلوقة لله تعالى من طول أو قصر من سواد أو بياض إلى غير ذلك من أوصاف الإنسان كل ذلك مخلوق لله ،و أيضا أفعال الإنسان أيًا كانت حتى الحركات اليسيرة ،هذا ابن عباس –رضي الله عنه – يقول: كل شيء بقدر حتى وضعك كفك على ذقنك هكذا بقدر ،و في الحديث الصحيح يقول عليه الصلاة والسلام كل شيء بقدر حتى العجز و الكيس ،و في الحديث الصحيح يقول عليه الصلاة و السلام : (و أعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك و ما أخطأك لم يكن ليصيبك)،لأن الأمر كله بيد الله تبارك و تعالى ،فإذن من إيماننا بالقدر أن نؤمن و ينص على هذه المسألة تحديدًا لأنه زلت فيها أقدام ضلت فيها أفهام أفعال العباد تخصيصًا ،فأفعال العباد الطاعات منها و المعاصي الكفر منها و الإيمان ،أفعال العباد كلها مخلوقة لله عز و جل ،{و الله خلقكم و ما تعملون } {الله خالق كل شيء } {الحمد لله رب العالمين} العالم وهو من

سوى الله كله مربوب لله مسخر بتسخيره مصرف بتصريفه مدبر بأمره تبارك و تعالى ،و من ذلك ما يكون من العباد من أعمال طاعات كانت أو معاصي هذا معنى قول المصنف–رحمه الله – أن أفعال العباد مخلوقة لله ،أي الله عز و جل هو الذي خلقها و هو الذي أوجدها .

قال :و أن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله ،و أن مشيئتهم: أي العباد ، العبد له مشيئة ،وهذه المشيئة هو الذي يختار بها طريق الخير من طريق الشر ،طريق الكفر أو طريق الإيمان طريق الطاعة أو طريق المعصية {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [البلد : ١٠] أي الطريقين طريق الخير و طريق الشر،فالعبد له مشيئة ، والله سبحانه و تعالى أثبت للعبد مشيئة ذكر ذلك في القرآن ، قال :{ لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ }[التكوير : ٢٨] فأثبت تبارك و تعالى للعبد مشيئة ،ولهذا لكون العبد له مشيئة أمر و نُهي ،و سيأتي قول المصنف :و هي متعلق الأمر و النهي لا يُؤمر و لا يُنهى إلا من عنده مشيئة ، أما من لا مشيئة له و لا إرادة له فهذا لا يُؤمر و لا يُنهى ،فإذن العبد له مشيئة ، و بهذه المشيئة يختار طريق الهداية أو يختار طريق الضلال،يختار طريق الذهاب إلى المسجد أو طريق الذهاب إلى أماكن الفساد ، فهو له مشيئة والمشيئة أثبتها الله سبحانه وتعالى للعبد و ذكرها في القرآن وجميع الآيات التي فيها الأمر و النهي كلها تدل على أن العبد له مشيئة ،الأمر بالصلاة { وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ } { وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى} { وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً} إلى غير ذلك ،جميع هذه الآيات التي فيها أوامر و نواهي هي دالة على أن العبد له مشيئة،لأن من لا مشيئة له و لا إرادة لا يُؤمر و لا يُنهى ،فالأمر والنهي هذا دليل بيّن على أن للعبد مشيئة و له إرادة و بمشيئته و إرادته يختار طريق الخير أو يختار طريق الشر ،ولهذا لكون هذه الأعمال التي تقع من العبد سواء كانت طاعات أو معاصي صادرة منه –أي من العبد بمشيئته– تُنسب إليه ،فيُقال للعبد هو المصلي الصائم و الحاج و المتصدق و البر و المحسن و المتقي و التواب أو التائب و غير ذلك ، هذه كلها تُنسب إليه لأنها أفعال له صادرة بمشيئته و اختياره ،أيضا الأفعال السيئة التي تقع من أهل الفساد –حمانا الله أجمعين و وقانا –تُنسب إليهم لأنها أفعالهم يُقال السارق و القاتل ،و الزاني و الظالم و الجائر و المعتدي و الباغي إلى غير ذلك تُنسب إليهم الأفعال لأنها أفعال لهم صادرة عن مشيئتهم و إرادتهم ،فالمشيئة ثابتة للإنسان ،وهذه المشيئة الثابتة للإنسان هي تحت مشيئة الله ،ولهذا قال الشيخ –رحمه الله – :وأن مشيئتهم تبع لمشيئة الله ،العبد له مشيئة لكن هذه المشيئة تبع لمشيئة الله قال تعالى :{ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ }[التكوير : ٢٩] فمشيئة العبد تبع لمشيئة الله لأنه لا يستطيع أن يفعل شيء من الطاعات أو يدع شيء من المعاصي والآثام إلا إذا أعانه الله ،و لهذا شُرع

لأهل الإيمان أن يدعو الله كثيرا بسؤاله الهداية و سؤاله التوفيق وسؤاله السداد ،و التعوذ به من الضلال ((أهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت و أصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت)) أمر العبد أن يتوجه إلى الله سبحانه و تعالى لأن الأمر بيده ،العبد له مشيئة لكن هذه المشيئة تحت مشيئة الله ،و تابعة لمشيئة الله ،و لهذا طُلب من العبد أن يجاهد نفسه على فعل الصالحات و القيام بالطاعات و في الوقت نفسه يلجأ إلى الله تعالى أن يسدده و أن يحفظه و أن يقيه و أن يعيذه من الضلال،و أن يجنبه الزيغ { ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا } كان الصحابة –رضي الله عنهم – عندما كانوا يحفرون الخندق يرتجزون يقولون لولا الله ما اهتدينا و لا صمنا و لا صلينا ،فالأمر بيد الله تبارك و تعالى ،فإذن العبد له مشيئة و مشيئته تابعة لمشيئة الله كما قال الله تبارك و تعالى :{ لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ} [التكوير : ٢٨] أثبت للعبد مشيئته ، قال :{ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} و على ضوء هذه الآية لو قال قائل أريد لنفسي الاستقامة فما الحل و ما العمل ؟ بماذا تجيبونه على ضوء الآية { لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ} يُقال له أعلم أن لك مشيئة تختار بها طريق المسجد و تختار بها طريق الشر و الفساد ، فجاهد نفسك على أن تعمل مشيئتك في الخيرات و الصالحات و أن تبتعد عن المعاصي و الآثام ،{ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} جاهد نفسك الأمر يحتاج إلى مجاهدة ثم في الوقت نفسه لا تركن إلى هذه المجاهدة ،ولا تعتمد عليها لا تعتمد على الأسباب ،وإنما توكل على مسبب الأسباب و خالق كل شيء سبحانه و تعالى ،وهذا هو معنى قول النبي عليه الصلاة و السلام في الحديث الصحيح : (احرص على ما ينفعك و استعن بالله) احرص على ما ينفعك هذه الجملة لا تُقال إلا لمن عنده مشيئة ،وإلا من لا مشيئة له لا يُقال له احرص على ما ينفعك ،لأنه لا مشيئة له ،فإذن قوله (احرص على ما ينفعك) دليل على أن العبد له مشيئة و قوله (و استعن بالله) هذا دليل على أن مشيئته تبع لمشيئة الله تبارك و تعالى ،أيضا في هذا المعنى يأتي حديث علي و غيره من الصحابة –رضي الله عنهم – عندما سألوا النبي عليه الصلاة و السلام قالوا :هل الأمر بقضاء و قدر أم مستئنف ؟ قال : (بل بقضاء و قدر) فقالوا : ففيم العمل ؟ –إذا كانت الأمور مقدرة و مقضية ففيم العمل ؟ قال عليه الصلاة و السلام : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له فمن كان من أهل السعادة يسره الله لعمل أهل السعادة و من كان من أهل الشقاوة يسره الله لعمل أهل الشقاوة) ثم تلا :{ فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى } فذكر عليه الصلاة و السلام هاهنا أمرين الأول (اعملوا) والثاني (كل ميسر لما خُلق له) ،(اعملوا) هذا يدل أن العبد له مشيئة ؛لأن من لا مشيئة له لا يُقال له اعمل ،فقوله (اعملوا) هذا دليل على

أن العبد له مشيئة ،و قوله (فكل ميسر لما خلق له) دليل على أن مشيئته تبع لمشيئة الله ، فكل ميسر لما خلق له ، أي : إن كان الله عز و جل خلقه لعمل أهل السعادة يسره لهذا السبيل ،و إن كان خلقه لعمل أهل الشقاوة يسره لهذا السبيل ،فقال : (فكل ميسر لما خلق له) هذا فيه دلالة على أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الرب سبحانه و تعالى ، قال : و أن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله ،قال :و أن لهم —أي العباد– أفعالا و إرادة تقع بها أفعالهم ،قوله : و أن لهم أفعالا ،الصواب أن لهم مشيئة ،و لعل هذا وقع سبق قلم أو خطأ من الناسخ ،و صواب الجملة وأن لهم مشيئة و إرادة تقع بها أفعالهم ، و أن لهم أي العباد مشئية و إرادة العباد لهم مشيئة و إرادة اعطاهم الله عز و جل مشيئة و إرادة و خلق في العبد مشيئة و إرادة ،كما أنه خلق الإنسان و خلق ذات الإنسان و خلق شخص الإنسان و خلق أيضا صفات الإنسان من طول و قصر و سواد و بياض و غير ذلك أيضا خلق تبارك و تعالى في الإنسان مشيئة ،وخالق السبب خالق المسبب، مشيئة العباد مخلوقة لله و إرادة العباد مخلوقة لله ، و كل ما يقع بهذه المشيئة المخلوقة لله تبارك و تعالى فهو مخلوق لله تبارك و تعالى و ليس مخلوق للعبد،قال هنا :و أن لهم مشيئة و إرادة تقع بها أفعالهم ،أي:بالمشيئة التي خلقها الله فيهم و الإرادة التي خلقها الله فيهم تقع أفعالهم أيا كانت الأفعال طاعات أو معاصي ،فأفعال العباد التي تقع منهم من صلاة أو صيام أو حج أو صدقة و كذلك أفعالهم التي هي أفعال العصيان التي تقع منهم من سرقة أو قتل أو كذب أو غش أو غير ذلك ،كلها واقعة بمشيئة في العباد ولهذا تُنسب إليهم لأنها وقعت بمشيئتهم ،و لهذا قال–رحمه الله – و أن لهم مشيئة و إرادة تقع بها أفعالهم ،و إذا كانت أفعالهم واقعة بمشيئتهم و إرادتهم فإنها تكون منسوبة إليهم ،ولهذا كما قدمت يُقال مصلي و صائم و حاج و متصدق إلى آخره ،و الآخر البعيد يُقال عنه الزاني السارق القاتل إلى آخره ،لأنها أفعال صدرت منهم و وقعت بمشيئتهم ،و مشيئتهم مخلوقة لله تبارك و تعالى ؛لأن الله خلق الإنسان و خلق المشيئة و الإرادة التي فيه فإذن أفعال العباد كلها مخلوقة لله تبارك و تعالى ،و من لم يقل ذلك من لم يقل إن أفعال العباد مخلوقة لله لا ينفك عن إثبات وجود مع الله ،من هو ؟ الإنسان ،ولهذا القدرية النفاة الذين نفوا القدر و قالوا لا قدر الأمور ليست بقدر ،قالوا إن الإنسان هو الخالق لفعل نفسه ،ولهذا سماهم أهل العلم مجوس هذه الأمة ،لأنهم أثبتوا خالقين الله خالق للإنسان و الإنسان خالق لفعل نفسه ،إذن من لا يقول إن أفعال العباد مخلوقة لله تبارك و تعالى لا ينفك عن إثبات خالق مع الله تبارك و تعالى وهذا كما عبر بعض أهل العلم شرك في الربوبية مختصر،ما معنى شرك في الربوبية مختصر ؟ أي اختصر فيه هذا المشرك على هذا الجانب ، ادعى وجود خالق مع الله في هذا الجانب المعين ،أو في هذه الجزئية المعينة ادعى وجود خالق مع الله سبحانه و تعالى ،وهذا منافٍ كل المنافاة لربوبية الله عز و جل

على الخلق أجمعين {اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات : ٩٦] فذاك الاعتقاد منافٍ لهذه الآيات و أمثالها تمام المنافاة .

قال:وهي متعلق الأمر و النهي،وهي أي : مشيئة العباد و إرادتهم ،متعلق الأمر و النهي ،لأن الأمر و النهي لا يوجهان إلا لمن له مشيئة ،لا يُقال صلي و صم و تصدق و بر والديك و أحسن إلى الناس،و لا يُقال لا تقرب الزنا و لا تسرق و لا تكذب و لا تغش إلى آخره ،هذا الأمر و النهي لا يُوجه إلا لمن له مشيئة ،ولهذا كانت هذه المشيئة التي في العبد هي متعلق الأمر و النهي ، أمر و نُهي لأن عنده مشيئة ،أما من لا مشيئة له لا يُؤمر و لا يُنهى ،و لما كانت هذه المشيئة التي في العبد هي متعلق الأمر و النهي ،فرتب على ذلك كما دلت النصوص أن من وقع في معصية بما في ذلك الكفر مكره على ذلك ، لم يفعله باختياره و رغبته ،و إنما أرغم و أكره على ذلك ،هل يحاسبه الله تبارك و تعالى على هذا الفعل الذي فعله عن غير رغبة و اختيار؟ قال الله تعالى :{ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} فالذي يفعل المعصية مكره عليها لا أنه فعلها بمشيئته و إرادته و اختياره لا يحاسبه الله تبارك و تعالى ،و إنما يحاسبه الله تبارك و تعالى على أفعاله التي يفعلها بمشيئته يكون جالسًا في بيته ، ثم تهم نفسه بهمة فيها فساد في مكان ما فيقوم من مكانه و يفتح باب بيته و يركب دابته و يتوجه إلى المكان لا يتوجه إلى غيره ، المكان المعين الذي همت نفسه أن يفعل الفساد فيه فيتوجه إليه و يصل إلى المكان و يباشر الفساد ،هذه الأمور فُعلت بماذا ؟ هل فُعلت بدون مشيئة جالس في بيته و ينهض وقد همت نفسه بأمر فساد أو أمر شر ثم يفتح باب بيته و يخرج و يتحرك و يمشي المسافة ثم يذهب المكان و يباشر الفساد ،هذا فعله بمشيئته يحاسبه الله تبارك و تعالى ويعاقبه على أنه فعل هذا الأمر بمشيئته ،لو قال ما الواجب علي إن كان مغالطًا في هذا الباب ،لو قال ما الواجب علي ؟ يُقال له الواجب عليك إذا همت بفساد أن تمنعها و تسأل الله عز و جل أن يصرف عنك (اللهم أعذني من الفتن) (اللهم جنبني الفساد)(اللهم اصرف عني الشر) فتلجأ إلى الله سبحانه و تعالى أن يصرف عنك ذلك ،و أيضا في الوقت نفسه تجاهد نفسك على هذا الأمر ،أما من لم يؤمن هذا الإيمان و لم يعتقد هذه العقيدة التي قررها الشيخ باختصار في ثلاثة أسطر فجمعت خيرًا عظيمًا و علمًا غزيرًا مباركًا من لم يعتقد هذه العقيدة ليس له في هذا الباب إلا إحدى عقيدتين ،إما عقيدة القدرية النفاة و القدرية النفاة يثبتون مشيئة للعبد و لكنهم في القوت نفسه ينفون مشيئة الرب،يقولون لا علاقة لمشيئة الرب في أفعال العباد ،و أفعال العباد مخلوقة للعباد أنفسهم ،و مشيئة الله سبحانه و تعالى لا علاقة لها بمشيئة العباد ، ولهذا يسميهم أهل العلم القدرية النفاة

،وعرفنا ما يترتب على هذا المعتقد من فساد عريض،و أنكى شيء في ذلك و أشنعه أنه شرك في ربوبية الله بادعاء وجود خالق مع الله سبحانه و تعالى ألا وهو الإنسان الذي يقول هؤلاء القدرية النفاة إنه الخالق لفعل نفسه ، عندما زعموا أن مشيئة الله تبارك و تعالى لا علاقة لها بمشيئة العبد ،وأن العبد مستق بمشيئته و انه هو الخالق لفعل نفسه ،فهذه عقيدة وهي عقيدة ضالة باطلة مصادمة لكتاب الله عز و جل و لسنة نبيه صلى الله عليه و سلم ،ولما فطر عليه سبحانه و تعالى العباد ، العقيدة الثانية عقيدة القدرية المجبرة الذين يقولون إن العبد لا مشيئة له عكس أولئك ،لاحظ الخلل أولئك نفوا مشيئة الرب و أثبتوا مشيئة العبد و هؤلاء عكسهم تماما و على خط النقيض أثبتوا مشيئة الرب و نفوا مشيئة العبد ،قالوا العبد لا مشيئة له و لا اختيار ،بل وصفوه بأنه مثل الورقة في مهب الريح ، الورقة التي تطير في الهواء و تتكفأوها الرياح يمينًا و شمالا لا مشيئة لها في ذلك و لا اختيار ،قالوا إن الإنسان كالورقة في مهب الريح لا مشيئة له و لا اختيار ،مجبور على فعل نفسه ،ولهذا سماهم أهل العلم القدرية المجبرة ،وهذه العقيدة الباطلة الفاسدة ،من دلائل بطلانها و دلائل بطلانها كثيرة منها أنه أهل هذه العقيدة في أنفسهم متناقضون بمعنى أن هذه العقيدة لا يطبقونها في كل أمر ،بل إنهم في الأمور التي يميلون إليها وتهواها أنفسهم يعملون المشيئة و يعملون الاختيار ،أما الشيء الذي لا يهواه و لا تريده نفسه يقول أنا مجبر ،لا يصلي مثلا و إذا قيل له في ذلك يقول أنا مجبر ليس لي مشيئة ،لكن لو جاء أمرا تهواه نفسه تشتغل المشيئة ،تجده يذهب و يختار الطعام الذي يريد و يبحث عن الشيء الذي يرغب فيه ،أما الطاعات و العبادات و مالا تميل له نفسه يقول أنا لا مشيئة لي ولا اختيار أنا مجبر على ذلك و أيضا من الشواهد في واقع هؤلاء أنهم لا يطردون هذه العقيدة ،لو أن شخصا لقي أحد هؤلاء القدرية المجبرة و ضربه ضربة قوية أسقطه على قفاه ،وزاد أيضا و بصق عليه وقال أنا كالورقة في مهب الريح ،ليس لي اختيار و لا مشيئة ،لا تلومني يقبل؟ ما يقبل ،يقول أنت آتي من آخر الشارع قاصدني ومتجه إلى و تعمدت ضربي و إسقاطي في الأرض هنا تلتغي العقيدة لماذا التغت العقيدة ؟ هذا دليل الفساد ، أن الشيء الذي يعتقده لا يطرده في كل أمر ،يتناقض ،فهذا دليل فساد هذه العقيدة في واقع هؤلاء ،و أما دلائل فساد هذه العقيدة والشواهد الدالة على فسادها في القرآن و السنة أكثر من أن تحصر ويكفي ذلك الآية المتقدمة { **لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ* وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** } ولاحظ هنا ملاحظة مفيدة أن هذه الآية فيها رد على الطائفتين ،قوله { **لِمَن شَاء مِنكُمْ**} هذا رد على القدرية المجبرة الذي يقول أن مجبور ،يُقال له كلا ،الله عز و جل قال { **لِمَن شَاء مِنكُمْ**} فأنت لك مشيئة ، ففيها رد على القدرية

المجبرة ،وقوله{ **وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** } هذا فيه رد على القدرية النفاة ، نفاة القدر لأن الله عز و جل قال { **إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ**} هذا يبطل قول من يقول أنه لا قدر و لا علاقة لمشيئة الله سبحانه و تعالى بأفعال العباد ،والحق قوام بين ذلك الحق هدى بين باطلين ،وحسنة بين سيئتين سيئة هؤلاء و سيئة أولئك ،الحق بإثبات مشيئة للعبد و مشيئة للرب و أن مشيئة العبد تبع لمشيئة الرب سبحانه وتعالى ،كما قال الشيخ قريبا :و أن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله ،فالعبد له مشيئة و مشيئته تابعة لمشيئة الله تبارك و تعالى ،بعد أن قرر الشيخ –رحمه الله تعالى ذلك – قال :و أنه لا يتنافى الأمران ،الأمران سبق ذكرهما أن العبد له مشيئة و اختيار و أن مشيئته تابعة لمشيئة الله و كونه يُؤمر و يُنهى ،يُؤمر بالصلاة و الطاعات و يُنهى عن المعاصي والآثام ،مع أن الأمور كلها بقدر هذا لا تنافي بينهما ،يوضح الشيخ ذلك بجملة مختصرة يقول : وأنه لا يتنافى الأمران إثبات مشيئة الله العامة الشاملة للذوات و للأفعال و الصفات ،عد هذه الثلاث ،مشيئة الله عامة لكل ذلك للذوات فذوات الناس مخلوقة لله هو الذي خلقها ،و الأفعال مخلوقة لله من طاعة أو معصية ،كفر أو إيمان ،فسق أو فجور ،أو غير ذلك هذه كلها مخلوقة لله ،و الصفات أيضا مخلوقة لله ،صفات الناس كل ذلك مخلوق لله عز و جل ،وفي هذا المعنى يقول الإمام الشافعي –رحمه الله – في أبيات أربعة جميلة بل كما وصفها بعض أهل العلم من أحسن ما قيل نظما في القدر وهي ثابتة عنه –رحمه الله تعالى– يقول مناجيا رب العالمين بأبيات جميلة في تقرير هذا الباب ،يقول –رحمه الله – :

ما شئت كان و إن لم أشأ و ما شئت إن لم تشأ لم يكن

خلقت العباد على ما علمت وفي العلم يجري الفتى و المسن

على ذا مننت وهذا خذلت وهذا أعنت وذا لم تُعن

فمنهم شقي و منهم سعيد ومنهم قبيح و منهم حسن

هذه أبيات من أروع ما يكون ،وقد قال بعض أهل العلم إنها من أحسن ما قيل نظمًا في هذا الباب العظيم ،يقرر فيها –رحمه الله تعالى – هذه المسألة الجليلة العظيمة الكبيرة التي ظلت فيها أفهام و زلت أقدام يقول–رحمه الله – مناجيا رب العالمين :ما شئت – أي : يا الله ،كان أي شيء تشاءه يا الله يكون ،لماذا ؟ لأن مشيئة الله نافذة ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن ، ما شئت كان و إن لم أشأ يعني حتى لو أنا أيها العبد لم أشأ هذا الشيء

يكون، لماذا ؟ لأن الأمور كلها بمشيئة الله سبحانه و تعالى ،عرابي سُئل قيل :بم عرفت ربك ؟ قال : بنقض العزائم و حل الهمم ، يعني أكون متجه إلى شيء عازم عليه و قاصد له ،وهمتي متجهة إليه ثم أفاجأ أن همتي انحلت و اتجهت إلى أمر آخر غير الذي كنت مصمم عازمًا على فعله ، يقول ما شئت كان ،أي يا الله و إن لم أشأ أي و إن لم أشأ أنا ذلك ،وما شئت :أي أنا أيها العبد ،إن لم تشأ ،أي يا الله لم يكن ،وما شئت إن لم تشأ لم يكن ،ما شئت الآن و إن لم أشأ و ما شئت إن لم تشأ لم يكن ،يعني و ما شئت أنا أيها العبد إن لم تشأ أنت يا الله لا يكن ،لماذا؟ لأن الأمور كلها تحت مشيئة الله ،وهو —رحمه الله — أثبت مشيئة للعبد و مشيئة للرب و أثبت أن مشيئة العبد تبع لمشيئة الله ،ما شئت كان و إن لم أشأ و ما شئت إن لم تشأ لم يكن ،الأمور تبع لمشيئتك يا الله ،و ما شئت إن لم تشأ لم يكن خلقت العباد،أي أنت يا الله ،خلقت العباد على ما علمت أي أن خلق العباد و وجودهم على هذه الصفة و على هذه الأحوال و على هذه الأفعال كل ذلك في ضوء العلم السابق ،على ما علمت ،أي على ما سبق علمك به ،لأن الله سبحانه و تعالى علم ما كان و ما سيكون و ما لم يكن لو كان كيف يكون ،أحاط جل و عز بكل شيء علما ،و أحصى كل شيء عددا ،خلقت العباد على ما علمت أي على ما مضى فيه علمك ، وعلم الله سبحانه و تعالى أزلي و محيط و شامل لكل شيء ،علم تبارك و تعالى كل شيء ، خلقت العباد على ما علمت و في العلم يجري الفتى و المسن ،أي في العلم السابق علم الله عز و جل السابق يجري الفتى و المسن ، كل يجري في ضوء علم الله عز و جل و الله عز و جل أحاط علما بكل شيء ،قال : على ذا مننت و هذا خذلت ، على ذا مننت ،أي بالإيمان ،وهذا خذلت أي بالحرمان من الإيمان ، قال تعالى :{ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً} هذه منة الله ،و قال جل و علا :{ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }[الحجرات : ١٧]،و يقول جل و علا :{.. وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ *فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } ،ومر معنا قول الصحابة لولا الله ما اهتدينا و لا صمنا و لا صلينا ،على ذا مننت وهذا خذلت ،على ذا مننت فجعلته مؤمنًا مطيعا مصليا صائما متصدقا طالبا للعلم ساعيا في الخير ،وهذا خذلت أي خذلته و حرمته من هذا الخير و الأمر بيدك و بتسخيرك و بتدبيرك ،على ذا مننت وهذا خذلت وهذا اعنت و ذا لم تعن ،هذا أعنت أي على طاعتك ،يقول النبي عليه الصلاة و السلام لمعاذ ابن جبل : (يا معاذ ،إني أحبك فلا تدعن دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك و شكرك و حسن عبادتك) أعني لأنه إذا لم يعينك الله لا يمكن أن تقوم بطاعة ،لأن الأمور لا يمكن أن تكون إلا إذا أعانك الله عز

و جل ، قال على ذا مننت وهذا خذلت ،وهذا أعنت و ذا لم تعن ،الذي أعانه الله وفق للطاعات ، و الذي لم يعنه الله عز و جل بقي مكبلا بقيود الذنوب والمعاصي والآثام وهوى النفس و إتباع الشيطان إلى غير ذلك ،قال :فمنهم شقي ومنهم سعيد ،هذه أقسام الناس منهم شقي و منهم سعيد ،الشقي من يعمل بعمل أهل الشقاوة و السعيد من يعمل بعمل أهل السعادة ، قال عليه الصلاة و السلام : (اعملوا فكل ميسر لما خُلق له ،فمن كان من أهل السعادة يسره الله لعمل أهل السعادة ،و من كان أهل الشقاوة يسره الله لعمل أهل الشقاوة)ثم تلا الآية الكريمة :{ **فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى*وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى *فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**} ،فأهل السعادة هم من ييسرهم الله تبارك و تعالى لعمل أهل السعادة ،وأهل الشقاوة هم من ييسرهم الله لعمل أهل الشقاوة ،فمنهم شقي و منهم سعيد ،ومنهم قبيح ومنهم حسن ،هذه صفات الناس وهي خلق لله سبحانه و تعالى منهم قبيح و منهم حسن و الكل مخلوق لله جل و علا فهذه أبيات عظيمة جدا و رائعة في تقرير هذه المسالة الجليلة و أن الأمور كلها بمشيئة الله ،كما لخص الشيخ هنا ذلك بقوله إثبات مشيئة الله العامة الشاملة للذوات والأفعال والصفات ،ورأيتم تفصيلات الإمام الشافعي في أبياته مبينا شمول المشيئة للذوات والأفعال والصفات ،وهذا واضح في الأبيات التي مر ذكرها للشافعي —رحمه الله –،قال :و إثبات قدرة العبد على أفعاله وأقواله ،ليس هناك منافاة بين إثباتنا لمشيئة عامة شاملة ،مشيئة الله العامة الشاملة للذوات والصفات والأفعال ،وبين إثباتنا في الوقت نفسه لقدرة العبد على أفعاله و أقواله ،فالعبد له قدرة و له مشيئة وعرفنا بعض الأدلة الدالة على ذلك ،و نحن نصل إلى نهاية هذا الموضوع نريد أن نقف على خلاصة عملية مفيدة في الباب في ضوء ما تقدم لو قال قائل ما هي الناحية العملية والأمر التطبيقي الذي أقوم به في حياتي لأحيى حياة سعيدة في طاعة الله عز و جل ،و أفوز يوم القيامة بجنته و رضوانه و أنجو من عقابه و سخطه سبحانه و تعالى ،ما هو الأمر العملي ،وحتى أيضا أسلم من هذه الاعتقادات الباطلة والمنزلقات الفاسدة بتلخيص يفهمه الجميع ،الجواب أن ملخص المسألة في قول نبينا عليه الصلاة و السلام : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) هذه الجملة لوحدها جمعت لك الخير كله بحذافيره برمته ،ما تركت لك من الخير شيء إلا و جمعته لك هذه الجملة ،اعملوا فكل ميسر لما خلق له ،فعليك أن تسير في حياتك في ضوء هذا التوجيه الذي ذكره النبي صلى الله عليه و سلم في أثناء بيان هذه المسألة ،عندما سأله الصحابة أنعمل في أمر قُدر وقُضي ؟ أو في أمر مستأنف ؟ قال : (بل في أمر قدر و قضي) قالوا :ففيم العمل ؟ –لماذا نتكلف العمل إذا كان في أمر قدر و قضي ؟ – قال : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له ،فهذه الكلمة جمعت لك الخير كله في هذا الباب العظيم الذي زلت فيه طوائف و

انحرف فيه خلق جمعت لك الخير كله ،كيف تطبق ذلك ؟ (اعملوا) أي جاهد نفسك أيها العبد على العمل الصلاة الصيام الحج الصدقة البر الصلة الإحسان إلى غير ذلك جاهد نفسك على هذه الأعمال مجاهدة تامة ،كما قال في الحديث الآخر : (احرص على ما ينفعك)و الجانب الآخر قال : (فكل ميسر لما خلق له) اعتقد عقيدة راسخة في قلبك أن أمورك كلها تبع لمشيئة الله ،وأن الأمور بتيسيره وتوفيقه لا تفعل طاعة إلا بإذنه ،و لا تنجو من معصية إلا بتوفيقه ،فالجأ إليه سبحانه و تعالى دائمًا و أبدًا أن يهديك الصراط المستقيم ،و أن يعيذك من سبل أهل الضلال ،قد كان سيد ولد آدم عليه الصلاة و السلام إذا خرج من بيته قال : (اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي) وكان يقول كما في الصحيحين : (اللهم لك أسلمت و بك آمنت و عليك توكلت و إليك أنبت و بك خاصمت) وهذه أفعال للعبد يقوم بها مجاهدا نفسه على فعلها (أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني فأنت الحي الذي لا يموت و الجن و الإنس يموتون) ،قال له علي بن أبي طالب علمني دعاء أدعو الله به ،قال (قل اللهم أهدني و سددني) و في لفظ قال :(قل اللهم إني أسألك الهدى و السداد) وأذكر بالهداية هداية الطريق و بالسداد سداد القوس ، و الأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدا بل تقول أم سلمة و جاء أيضا من حديث غيرها من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم و رضي عنهم أجمعين أنه كان أكثر دعاءه (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) قالت : قلت يا رسول الله، أو أن القلوب تتقلب ؟ قال : (ما من قلب إلا و هو بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء فإن شاء أقامه و إن شاء أزاغه)..أوضح من هذا الكلام ؟ فإن شاء أقامه و إن شاء أزاغه ،إن شاء أقامه على الطريق المستقيم ،و إن شاء أزاغه فظل عن سواء السبيل ،فالأمر كله بيد الله من يهدي الله فهو المهتد و من يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ،الطريقة العملية في هذا الباب مجاهدة النفس دائما و أبدا على فعل الصالحات و اغتنام الأوقات بأعمال البر و الخير و الإحسان و مجاهدة النفس على البعد عن الآثام و موارد الخطأ و الفساد و في الوقت نفسه يلجأ لجوء تامًا إلى الله تبارك و تعالى أن يعينه و أن يوفقه و أن يهديه سواء السبيل و إليه تبارك و تعالى نلجأ سائلين إياه جل و علا بأسمائه الحسنى و صفاته العليا أن يلهمنا رشد أنفسنا و أن يهدينا سواء السبيل و أن يعيذنا من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا و أن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، اللهم اغفر لنا و لوالدينا و للمسلمين و المسلمات و المؤمنين و المؤمنات الأحياء منهم و الأموات .